وكان أولمرت صرح قائلاً: "لن نوقف هذه الحرب إلا بتحقيق أهدافها"، فيما قال شمعون بيريس: "هذه الحرب ونتائجها تعتبر مسألة حياة أو موت لإسرائيل". وفي تصريح له، قال وزير الدفاع عمير بيرتس: "تكبدنا خسائر فادحة، ولكن عزيمتنا لن تنكسر". وهذا يعني أن إسرائيل ستسعى بكل جهد من أجل ترجمة هذه التصريحات على أرض المعركة، فإن لم يتوصل الطرفان إلى اتفاق لوقف إطلاق النار، ستتواصل الحرب وستطول حتى تحقق الأهداف المعلنة المتمثلة في إبعاد قوات حزب الله ونزع سلاحه ومنع إطلاق صواريخه، وتطبيق القرار ١٥٥٩، وبسط سلطة الدولة والجيش اللبناني على الجنوب، والأهداف غير المعلنة المتمثلة في ضرب "التحالف الشيعي" اللبناني – السوري – الإيراني، وهذا خيار مكلف بشرياً ومادياً لإسرائيل. ويمكن القول إن القتال الذي يدور الآن، بهذه الطريقة البطيئة، وعلى مراحل، لا ينفي إمكانية أن يكون عبارة عن مرحلة استطلاع قوة الخصم بالقوة، أو تضليل للأسلوب القادم من الحرب (فالحرب خدعة)، كما أنها تعتبر مرحلة استكمال التحضيرات وحشد القوات والإمكانيات للمعركة، وربما تلجأ إسرائيل من جديد للحرب الشاملة والاندفاع السريع عبر محاور متعددة، وبخاصة بعد تجهيز قوات الاحتياط، بحيث تسعى من وراء ذلك إلى مزيد من السيطرة على الأرض، للتفاوض على ترتيبات أمنية مقابل انتشار الجيش اللبناني وقوات حفظ (فرض) السلام في الجنوب.

سيناريوهات الحرب

وإن صح هذا التحليل، ومع الأخذ بعين الاعتبار أن العمل العسكري ترجمة لهدف سياسي، وأن أهداف العملية العسكرية في لبنان أبعد من الأهداف الإسرائيلية المعلنة (الشرق الأوسط الجديد، بحسب الرؤية الأميركية)، تقابلها مواقف لبنانية "متعددة المشارب"، ومآرب سورية وإيرانية، منها ما يبقى تحت سقف التمنيات، ومنها ما هو قابل للتنفيذ، فإن الأمر المؤكد –حسب مجريات القتال– أن سيناريوهات الحرب التي أعدت مع بداية القتال ليست هي التي تنفذ على الأرض، لأنه لم يكن بحسابهم أو توقعاتهم هذا الصمود (على الرغم من حجم الدماء والدمار على الجانب اللبناني) ... ولذلك، ثمة سيناريوهات عدة للحرب، يمكن تلخيصها على النحو التالي:

▪ **السيناريو الأول:** استمرار القوات الإسرائيلية في السعي لإقامة الشريط الحدودي، بعمق بضعة كيلومترات (٧ – ١٠ كم أو أكثر إن استطاعوا)، أو أن يشمل عدداً من القرى لتجنب تحديد المساحة بالكيلومترات لأنها أقل كثيراً من مستوى الطموح، على أن يمتد على عرض الحدود اللبنانية مع شمال فلسطين، كما يمتد باتجاه الشمال الشرقي من جنوب لبنان عند راشيا الوادي القريبة من الحدود السورية، ودير العشاير التي تبعد عن دمشق بين ٤٠ – ٤٥ كيلومتراً، إلا أن هذا الشريط لا يفي بالغرض الأمني، ولا يبعد خط قوات حزب الله وصواريخه كثيراً، لكن توجد له أغراض سياسية بعيدة المدى تراهن عليها إسرائيل بعد إحلال قوات دولية، وتشكل أرضية تفاوضية تركز أساساً على الخسائر الجسيمة التي لحقت بالمجتمع اللبناني، إضافة إلى احتلال الأرض، والإفرازات التي ستنجم عن هذا الوضع. بيد أن حزب الله سيسعى هو الآخر للمحافظة على زخم القتال في هذا الشريط، وتحويله إلى منطقة قتل للجنود الإسرائيليين، لا يستطيعون معها البقاء على الأرض.

▪ **السيناريو الثاني**: قبول إسرائيل بوقف إطلاق النار (بقرار من مجلس الأمن) حيثما يتواجد الجنود الإسرائيليون (وهذا يتم بتواطؤ ما) مع نية مبيتة لاستثمار "الفوز" والتمدد إلى مناطق إضافية، كما فعلت في حروبها السابقة (تجربة القنيطرة)، وكذلك خلال عملية اجتياح لبنان العام ١٩٨٢، حيث أعلن عن وقف إطلاق النار حينذاك يوم ١١ حزيران، ولم تكن إسرائيل قد أطبقت الحصار على بيروت، لكنها فعلت ذلك في ظل وقف إطلاق النار، وتمددت إلى مناطق خلدة والشويفات وكفر شيما، واتصلت بالقوات اللبنانية (الكتائب) في المنطقة الشرقية من بيروت، وكذلك إلى سوق الغرب وعالية في الجبل، والطريق الرئيسية بيروت – دمشق عند المديرج وظهر البيدر، وإلى سهل البقاع وقرب الحدود السورية – اللبنانية. وخلال ذلك، واجهت القوات الغازية مقاومة فلسطينية لبنانية شرسة، وبخاصة في موقع مثلث خلدة، الذي دمر فيه عدد من المجنزرات الإسرائيلية، وتم الاستيلاء على عدد آخر. وفق هذا السيناريو، ينهار وقف إطلاق النار، عندما يبدأ "مسلسل الخرق والوقف"، وهو استمرار للقتال بوجه آخر.

▪ **السيناريو الثالث**: مواصلة المغامرة العسكرية، ودفع مزيد من القوات البرية، بعمق أكبر من الشريط الحدودي، مع تنفيذ أسلوب تجاوز قوات حزب الله، والعزل والتطويق، ظناً من الإسرائيليين أن مقاتلي الحزب أرهقوا، ومحاولة السيطرة على المنطقة المستهدفة، التي تريدها إسرائيل خالية من حزب الله، وبحيث ترافق ذلك عمليات إنزال، كتلك التي نفذت في بعلبك (مستشفى الرحمة)، مع محاولة اختطاف أو قتل قادة ومقاتلين من حزب الله، لاستعادة الروح المعنوية للجنود الإسرائيليين، والثقة بقياداتهم.

▪ **السيناريو الرابع**: تصدير الأزمة إلى خارج الساحة اللبنانية، حيث عمدت إسرائيل، مؤخراً، إلى التحرش بالسوريين من خلال قصف منطقة المصنع الحدودية، والطريق الواصلة بين بيروت ودمشق عند الحدود، والإنزال على المستشفى في بعلبك، وقصف جسر عرقا في عكار والمؤدي إلى طرابلس، وكلها مناطق قريبة من الحدود السورية، ولكنها في الوقت ذاته باتت مسرحاً لعمليات قتالية، وبخاصة أن الجيش السوري في حالة استنفار، وطيرانه الحربي لا يفارق الجو ... وبهذا، تكون المفاوضات المطلوبة هي بين إسرائيل وسوريا، بدلا من حزب الله.

(أ.ف.ب)

(أ.ف.ب)

حقائق وملاحظات أولية

ويبقى باب الاحتمالات مفتوحاً على مصراعيه، إذ أن كل المؤشرات والمعطيات الراهنة تفيد بأننا أمام حرب طويلة ومفتوحة، ولكن عند تقييم هذه الحرب تبرز الحقائق التالية:

١– إسرائيل قوية وجيشها قوي، تعوّد على الحروب النظيفة، قصف وتدمير للخطوط الدفاعية، ثم تقدم وهجوم للقوات البرية، وانسحاب بالمقابل، وإخلاء الخطوط الدفاعية، وشل القدرة على تنفيذ هجوم معاكس، وبذلك تنتصر إسرائيل، لكن منذ حرب لبنان في العام ١٩٨٢ مع القوات الفلسطينية واللبنانية، والآن في هذه الحرب مع حزب الله، يتعاطى الجيش الإسرائيلي مع قوات مقاومة، عمقها شعبها، ومسلحة بالإرادة والتصميم على الصمود والتصدي، تقاتل مجموعات صغيرة متحركة، ترهق العدو وتوقع الخسائر في صفوفه وتجبره على الانسحاب، وتستعيد الأرض.

٢– إمكانية إلحاق الهزيمة بهذا الجيش الذي "لا يقهر" واردة أكثر من أي وقت مضى، فصمود المقاومة في فلسطين، وفي لبنان، وتدمير البارجة الحربية المتطورة (ساعر)، وتدمير دبابات "ميركافاه" الحديثة، وإخفاق الأجهزة الأمنية والاستخبارية بتقدير حجم قوات حزب الله، واستمرار قصف الصواريخ من قطاع غزة ولبنان، على الرغم من التفوق الجوي والمدفعي الإسرائيلي، كلها تدلل على ذلك، إضافة إلى التردد الواضح والتناقضات في التصريحات الإسرائيلية، والإعلان عن الأهداف وسير المعارك والتراجع عنها.

٣– التأكيد على مبدأ "ما أسهل أن تبدأ الحرب، وما أصعب أن تنهيها"، فإسرائيل "السابقة" التي تعودت على اعتبار أجوائها وحدودها مصانة من الاعتداءات غير إسرائيل اليوم، التي تقصف بالصواريخ الفلسطينية واللبنانية كل يوم، ويتعرض جنودها للأسر، فضلاً عن المواجهة المباشرة مع الجيش الإسرائيلي والصمود فيها.

٤– أبرزت الحرب للعالم "أخلاقيات" الجيش الإسرائيلي، من قتل للأطفال والنساء والشيوخ بالقذائف المنثارية والفسفورية، وهدم البيوت فوق رؤوسهم، وحجم الدمار الذي ألحقه بالبنية التحتية، حيث بات كثيرون يعتبرون سلاح إسرائيل "سلاح انتقام"، في حين نجح حزب الله والفلسطينيون في إظهار سلاحهم كسلاح ردع ودفاع عن النفس.

٥– أظهرت الحرب الفرق بين الإعلام الإسرائيلي واللبناني، ففي حين جاء الإعلام اللبناني صادقاً، يتحدث عن واقع الحال، كان الإعلام الإسرائيلي ما زال يضلل ويخادع (الإعلان عن جرح أو قتل الشيخ حسن نصر الله، تدمير ثلث القوة الصاروخية لحزب الله، قصف وتدمير منصات صواريخ متحركة بينت الصور التلفزيونية أنها حفارات مياه، إعلان احتلال قرى وبلدات تواصلت الاشتباكات فيها).

يبقى السؤال: هل ستعيد إسرائيل حساباتها العسكرية، بعد أن عرفت أن العنجهية والقوة العسكرية، والإستراتيجية الخاطئة، و"الهواية السياسية" في اتخاذ القرارات المغامرة، باتت غير مجدية، ولا بد من التفاوض والاعتراف بالحقوق الفلسطينية واللبنانية؟ ومتى سيتسابق الخبراء والمحللون في نشر وفضح إخفاقات هذه الحرب، وهي كثيرة، كما فعلوا بعد حرب ١٩٨٢؟!